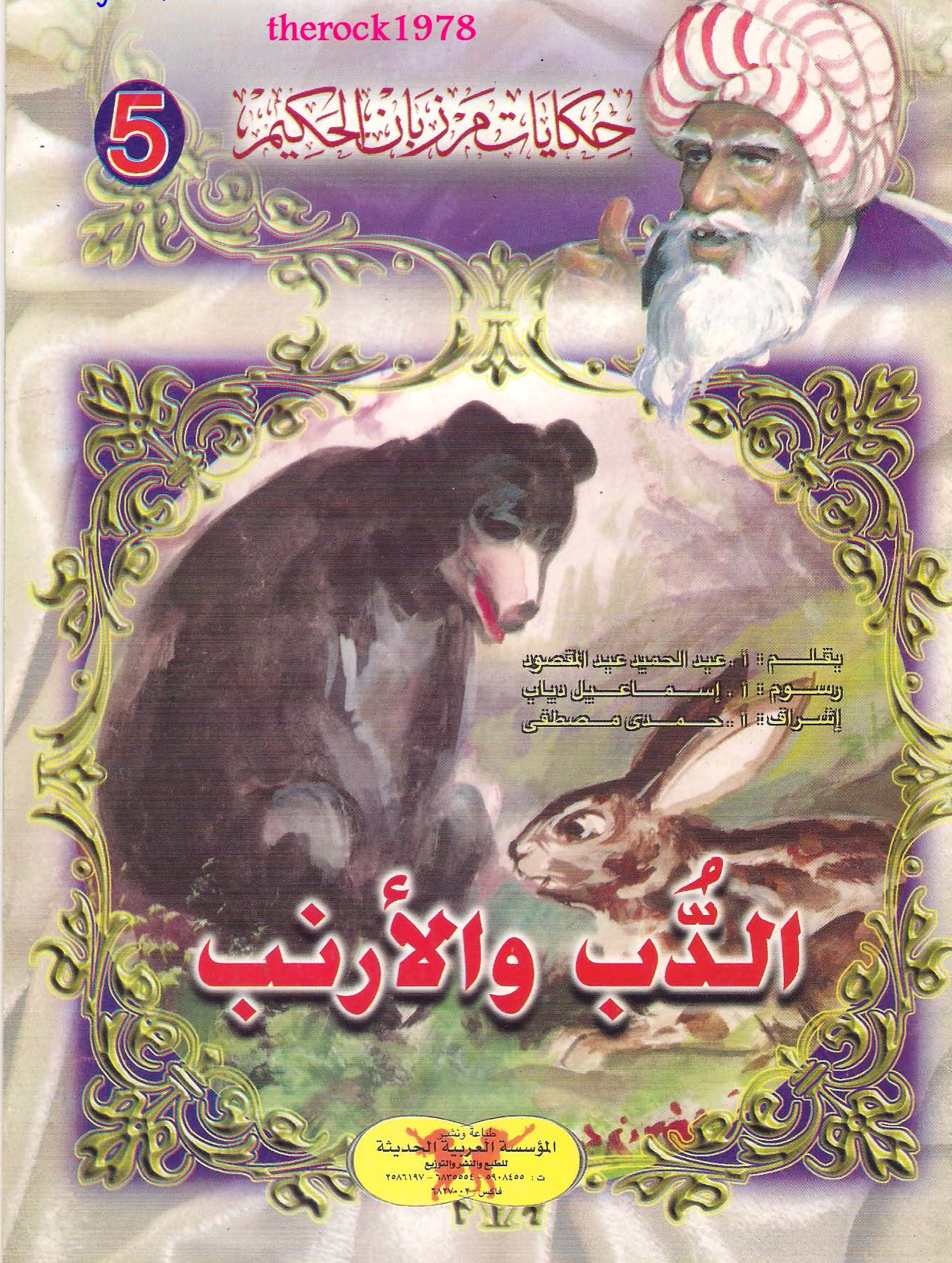
5

حكايات مرزبان الحكيم



الدُّب والأرنب

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدي مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٨٢٧٠٠٢



الدُّبُّ والأَرْنَبُ

دافعَ الثَّـعْلبُ المدْعـوُّ باسْمِ (الْعـادِلِ) عنْ صديقِهِ (الْعزيزِ) ورجَا الأَسَدَ أَنْ يَعْفُوَ عنْه ، وألاَّ يُعاقِبَه بسببِ تلكَ الْهَفْوَةِ الصَّغيرةِ ، التى صدرَتْ مِنْه ، وحاولَ الدُّبُّ أَنْ يُوغِرَ صدْرَ الأَسدِ ضِدَّهُ ، حتى يُعاقِبَهُ ، ولا يصْدِرَ أَمْرَهُ بالْعفْوِ عنْه .. فقالَ الأَسدُ :

ـ سوْفَ أَنْظرُ فى هذا الأَمْرِ وأُصْدِرُ فيه حُكْمى ..

وكادَ (الْعادلُ) يطيرُ مِنَ الْفَرَحِ ، بقُرْبِ عفْوِ الأَسَدِ عنْ صديقِه ، فتوَجَّهَ إليْهِ فى الْحَبْسِ ، وبشَّرَهُ قائلاً :

ـ أَبْشِرْ ، فإنى كلَّمْتُ الأَسدَ فى أَمْرِكَ ، ورجَوْتُه أَنْ يعْفُوَ عنْك بسببِ ما وقَعَ منْكَ منْ خَطَأَ صغيرٍ غيرِ مقْصُودٍ ، وقدْ وعَدنى الأَسَدُ بالنَّظر فى أَمْرِكَ ، وأَنا أَرى أَنَّهُ سيَعْفُو عنْكَ ، ويُعيدُكَ إلى ما كُنْتَ علَيْهِ منْ مركَزٍ وقُرْبٍ مِنْهُ ..

فقالَ (الْعزيزُ) :

ـ مهْما شكَرْتُكَ يا صَديقى فلَنْ أُوَفِّيَك حقَّكَ مِنَ الشُّكْرِ ، فأَنْتَ نعْمَ الصَّديقُ ، وأَفْضَلُ الإخْوانِ ، ولكنْ كُنْتُ أَودّ



أَنْ تُؤَجِّلَ الْكلامَ مع الأَسدِ فى طلَبِ الْعَفْوِ عَنِّى فى هذا الْوَقْتِ بالذَّاتِ ..

فتعَجَّبَ (الْعادِلُ) وقالَ :

- ولماذا تَرَى أَنْ أُؤَجِّلَ الْكلام فى طلَبِ الْعَفْوِ الآنَ ؟!

فقالَ (العزيزُ) :

- إنَّ حظِّى ليسَ مُواتِيًا الآنَ ، وأَنا أَرى أَنَّ نَجْمَ سَعْدِى فى هُبُوطٍ وليْسَ فى صُعُودٍ ، وأَنا أَعْلَمُ أَنَّ مقَاصِدَكَ حسَنَةٌ ، وغايَاتِكَ نبيلَةٌ ،وأَنكَ ما سَارعْتَ



فى هذا الأَمْرِ إلاَّ لتتعَجَّلَ خُروجى منْ هذهِ الْمِحْنَةِ ..

فقالَ (الْعادلُ) :

- لقدْ سارعْتُ فى هذا الأَمْرِ خوْفًا منْ أَنْ يسْبِقَنى عَدُوُّكَ الدُّبُّ ، فيقولُ للأَسدِ كَلامًا عنْك يستَقِرُّ فى رأْسِهِ وتَصْعُبُ إزالَتُه منْهُ ، فيصِرُّ على عِقابِكَ ، وإنْ كنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ مقاليدَ الأُمورِ كُلِّها بيدِ الْمَولَى (سبحانَهُ) ..

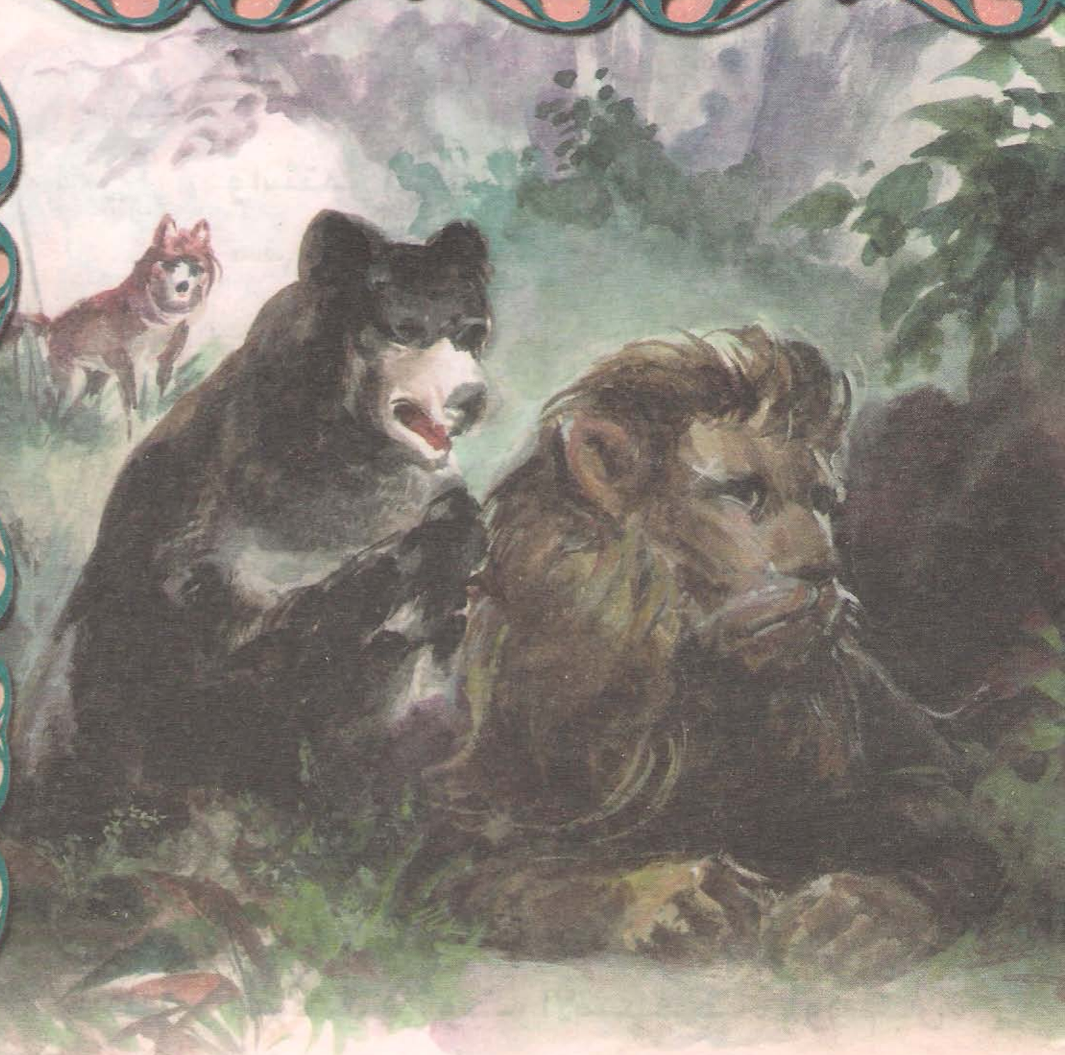
وبَرغْمِ ذلكَ فإنَّنى لنْ أكُفَّ لحْظَةً عنْ طلبِ الْعَفْوِ منَ الأَسَدِ ، حتى يُصْدِرَ حُكْمَهُ بالْعفْوِ عنْكَ ..

فشكَرَهُ (الْعزيزُ) على تَفَانِيهِ فى حُبِّهِ ، ورَغْبَتِه الصَّادِقَةِ فى خَلاصِه منْ مِحْنَتِه ..

وفى الْيوم التَّالى ، توجَّهَ (الْعادلُ) مُبَكِّرًا إلى مَنْزِل الأَسدِ ، فوجَدَ الدُّبَّ عِنْدَه ، وهو على وَشْكِ أَنْ يفْتحَ الْكلامَ فى أَمْرِ (الْعَزيزِ) ويُوغِرُ صَدْرَ الأَسَدِ ضدَّهُ ، فلا يُصْدِرُ أَمْرَهُ بالْعفوِ عنْه ..

ولكنَّ (الْعادِلَ) سبقَهُ بالْكلامِ فقالَ لِلأَسدِ :

- لقدْ سبقَ ووعَدَنى الأَسَدُ الْمُهَابُ بالنَّظَرِ فى أَمْرِ



صَديقى (الْعَـزيزِ) وإصْدارِ حُكْمِـه بالْعَـفْوِ عنْهُ .. وقـدْ جئْتُ أذَكِّرُ الأَسدَ الْمـهابَ بالنظرِ فى هذا الْوَعْدِ بعَيْنِ الرحْمَـةِ ، حتى يَخْرُجَ (الْعـزيزُ) منَ الْمِحْنَـةِ ، لما لهُ منْ سابقِ مَوَدَّتِكَ والإخلاصِ فى مَشُورَتِكَ وخِدْمتِكَ ..



واسْتَمرَّ (الْعادلُ) يتحدَّثُ بمثْلِ هذا الْكلامِ ، حتَّى لانَ قلْبُ الأَسَدِ ورَقَّ ، وكادَ يُصْدِرُ أَمْرَهُ بالْعَفْوِ ..

ولكنَّ الْغَيْظَ كانَ قدْ أكلَ قلْبَ الدبِّ ، وأَرادَ أَنْ يَمْنَعَ الأَسَدَ عَنْ إصْدارِ عَفْوِه فقالَ مُحَرِّضًا :

- إنَّ كُل منْ تسَتَّر على أَعْداءِ الأَسدِ الْمُهَابِ ، فهوَ شرِيكٌ لهمْ فى الْخِيانةِ .. وكلُّ مَنْ يشْفَعُ لِلجْانى ، فهوَ شريكٌ لهُ فى جِنَايَتِهِ .. وإنِّى أَظُنُّكَ أيها (الْعادلُ) قدْ جاوَزْتَ حَدَّك ، وعلَوْتَ فوْقَ قدْرِكَ ، وحطَطْتَ منْ قدْرِ الأسَدِ ، ومِنْ هيْبَتِه وكَرامَتِه حينَ جئْتَ تتكلَّمُ فى هذا الأَمْرِ ..

فظهَر الْغضَبُ فى وجْهِ الأَسدِ فجْأَةً ، وهمَّ بأَنْ يبْطِشَ بالدُّبِّ ، على تَجَرُّئِه بهذا الْكلامِ ، فى حَضْرَتِه ، لكنَّه تمالَكَ نفْسَهُ ، وقالَ مُوَبِّخًا الدُّبَّ :

- لمْ تَزَلْ أَيها الدُّبُّ ظالمًا ، مُنْذُ عرفْتُكَ وعَيَّنْتُكَ وزيرًا .. وبدلَ أَنْ تنْهانى عَنِ الْبَطْشِ والْعِقابِ وفعْلِ كلِّ ما ليسَ صوَابًا ، فإنكَ تُزَيِّنُ لى ذلك وتُحَبِّبُهُ إلى نفْسِى ،



فتَرِيدُ مِنِّى أَنْ أُصْدِرَ قرارًا بالْعِقابِ بدَلَ الْعَفْوِ والْغُفْرانِ ..

وإنَّ هذا (الْعادلَ) أَفْضَلُ مِنْكَ ، وأَحَبُّ إلى قلْبى ونفسِى ، لأَنهُ يأْمُرنى بالْمَعْروفِ ، وينْهانِى عَنِ الْمُنْكَرِ ..

وهو يسْعَى إلى مُساعَدَةِ صَدِيقِهِ فى مِحْنَتِه ، وهذا ليْسَ عيْبًا مِنْهُ ، لكنَّهُ واجبٌ عليْهِ نحْوَ صَدِيقِه يُشْكَرُ عليْهِ ..



ولوْ أَنَّهُ تخلَّى عنْه فى هذه الظُّروُفِ الْقاسِيَةِ التى يَمُرُّ بها ، لاحْتَقَرْتُهُ ، ولَقُلْتُ إنَّهُ لا خَيْرَ له فى أَخيهِ وصَديقِه ، وإذنْ فهوَ لا خيْر لهُ فى سَيِّدِه ومَلِيكِه ، ولَطردْتُه منْ خِدْمتى فوْرًا ..

وسكت الأَسدُ قليلاً .. ثم قالَ :

- لقدْ أَوْفَى (الْعادِلُ) بما يَجبُ عليْهِ نَحْوَ صَديقِه ، وهو غائِبٌ ، وقصَدَ إلى نَفْعى وإظْهارى بيْنَ النَّاسِ بصُورَةِ الْمُحْسِنِ الْكريم ، وباعَدَ بيْنِى وبيْنَ الوُقوعِ فى الظُّلْمِ ، الذى تُحاوِلُ أَنْتَ إيقاعى فِيه بحِقْدِكَ وظُلْمِكَ ، فَرُبَّما عاقَبْتُ (الْعزيزَ) وبالَغْتُ فى عِقابِه ، ثمَّ اكْتَشفْتُ أَنهُ مَظْلُوم ، فأَنْدَمُ على فِعْلِى بعْدَ فَوَاتِ الأَوانِ ..

والْتَفَتَ إلى (الْعادلِ) قائِلاً :

- إننى أَشْكرُكَ أَيها النَّاصِحُ الأَمِينُ ، والْمُشيرُ بالرأْى السَّديدِ ، والْمُحَرِّضُ على فعْلِ الْخَيْرِ ، والنَّاهى عنْ فعلِ الظُّلْمِ والْمنكَراتِ ..

لقدْ تحقَّقْتُ أَنَّ صديقَكَ (الْعزيزَ) قدْ ندِمَ على ما صَدرَ منْهُ هفْوَةً ، واعْتَرفَ بذَنْبِه ، ويكْفيهِ ندَمُهُ وخجَلُهُ عُقُوبَةً لهُ ..



وكما قُلْتُ أَيها (الْعادلُ) فإنهُ لا يليقُ بِى سِوَى الْعَفْوِ والإحْسانِ ، لأَن هذا مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ ، التى ورَثْتُها عنْ أَجْدادى الْمُلوكِ الْعظامِ ..

فلمَّا سمعَ الدبُّ هذا الْكلامَ ، ورأى الْغضَبَ فى وجْهِ الأَسَدِ ، علمَ أَنهُ قدْ وقعَ فى ورْطَةٍ ، حينَ أَظْهرَ عداوتَهُ لـ (الْعزيز) فى أَثْناءِ غَيْبَتهِ ، فلا هوَ أَبْقَى على عَلاقَتِهِ الطَّيِّبَةِ



بالأَسدِ ، ولا هوَ أَبْقَى على عَداوَتهِ معَ (الْعزيزِ) فى الْخفاءِ ..

ولمَّا تأكدَ الدبُّ أَنَّ الأَسدَ ماضٍ فى عفْوهِ عنِ (الْعزيزِ) فكَّرَ فى تدَارُكِ ما وقعَ منْه منْ هَفَواتٍ فى حقِّهِ ، حتى يَظْهَر أمامَهُ بمظْهرِ منْ سَعَى عنْدَ الأَسَدِ حتى يَعْفُوَ عنْه ، وليْس الْعَكْس ..

وكان لِلدبِّ صديقٌ منَ الأَرانبِ يُدْعَى باسْمِ (مُبَاركِ الْمِيلادِ) وكانَ هذا الأَرْنبُ مشْهورًا بالذَّكاءِ وحُسْنِ الرأْىِ والْمَشُورةِ ، فتوجَّهَ الدبُّ إليهِ ، وعرَضَ الأَمْرَ عليْه ، فلامَهُ الأَرنبُ على ما حدَث ، وقالَ له :

ـ لقدْ أَخْطَأْتَ حينَ جاهَرْتَ بعَداوَتِكَ لـ (الْعزيزِ) قبْل أَنْ تتحقَّقَ أَنَّ الأسدَ قدْ غضِبَ عليْه ، وأَصْدرَ حُكْمَه بمعاقَبَتهِ على ما بَدرَ منْ جُرْمِه .. إنَّ الأَسدَ الذى نحنُ كلُّنا فى خِدْمتِه ورَهْنُ أَمْرهِ ومَشورَته ، يعْرفُ مِقْدارَ خَدَمهِ ، وليْسَ منَ الْمَعْقولِ أَنَّهُ كانَ سيُصْدِرُ أَمْرَهُ بمعاقَبةِ (الْعزيزِ) على هذه الْهَفْوةِ الصَّغيرةِ ..

لقدْ تَسرَّعْتَ يا صَديقى ..



فقالَ الدُّبُّ للأَرْنبِ :

ـ دعْنا يا أَخى منْ هذا الْكلامِ الْمُنَمَّقِ ، وابْحَثْ لى عنْ حلٍّ يُخْرِجُنى منْ هذا الْمأْزِقِ ، الذى وضَعْتُ نفْسِى فيه بتَسَرُّعى وغَبائى ، فقدْ قالَ الْحُكماءُ : إذا لمْ تتدَارَكْ زَلَّةَ الْقدَمِ ، ندِمْتَ حيثُ لا يَنْفَعُكَ الندَمُ ..

فقالَ الأَرْنبُ :

ـ عِنْدى مَنْ يتدارَكُ لكَ هذا الْخطَأَ الْجَسيمَ ، الذى



أَوْقَعْتَ نفْسكَ فيه ، ويسعى لإصْلاح ما فَسدَ بَيْنَكَ وبَيْنَ (الْعزيزِ) ويفْعَلُ ما فيهِ الخيرُ لكَ ، ويخَلِّصُكَ منْ غضَبِ الأَسدِ عليْكَ ، ولكنْ بشَرْطٍ ..

فقالَ الدبُّ :

ـ وما هوَ هذا الشَّرْطُ ؟

فقالَ الأَرْنبُ :

ـ أَنْ تتركَ كلَّ ما فى نفْسِكَ مِنْ عداوةٍ وبغْضاءَ لـ (الْعزيزِ) و(الْعادلِ) ولا تُبْقِى فى نفْسِك شيْئًا منْ ذلك لهما ..

فقالَ الدبُّ :

ـ قدْ زالَتِ الْعداوَةُ والْبَغْضاءُ مِنْ نفْسى لهما ، وأَنا أُقْسِمُ لكَ وأُعاهِدُكَ على ذلك ..

فلمَّا تأكَّدَ الأَرنبُ منْ صِدْقِ الدبِّ ، توجَّهَ مباشَرةً إلى بيْتِ (الْعادِلِ) وذكرَ له ما دارَ بيْنَهُ وبيْنَ الدبِّ ، وأَنَّهُ قد ندِمَ على ما بدَر مِنْه فى حَقِّ (الْعزيزِ) وأَعْلنَ توْبَةً خالِصَةً وصادِقَةً عنْ كلِّ ما بدرَ مِنْه ، ووعَدَ أَنهُ لنْ يعودَ إلى مثْلِ ذلكَ أَبدًا ..

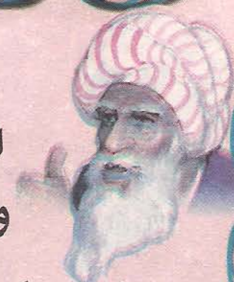


فقالَ (الْعادلُ) :

- أَرجو أَنْ يكونَ الدبُّ صادقًا فى توْبَتِه هذه الْمَرَّةَ .. ولكنْ ما هو الْمطلوبُ منِّى أَنْ أَفْعلَهُ ؟!

فقالَ الأَرنبُ :

- إنَّ الْعَفْوَ منْ شِيَمِ الْكِرام ، وإنَّ مكارِمَ الأَخْلاق لا تكونُ إلاَّ مِنَ الْكِرامِ ، وانْتِهازُ الْفُرصِ فى وقْتِ الذُّلِّ والاِنكِسارِ لا يكونُ إلاَّ مِنَ اللِّئامِ ، وإنَّ السَّعْىَ لإزالةِ



الْحقدِ مَحمودٌ ، والْمَشْىُ فى طَلَبِ الْموَدَّةِ والصَّفاءِ بيْنَ الناسِ ثوابُهُ عظيمٌ عنْد الناسِ ..

فلما سَمِعَ منْهُ (الْعادِلُ) هذا الْكلامَ فرِحَ فرَحًا شديدًا ، وحَمِدَ اللَّهَ على أنْ هَدى الدُّبَّ إلى طريقِ الْحقِّ والصَّوابِ أَخيرًا ..

وتوجَّهَ (الْعادلُ) مع الأَرنْبِ إلى (الْعزيزِ) فى سِجْنِهِ ، واعْتذرَ لهُ عما بدرَ مِنَ الدبِّ ، وقالَ له :

- إنَّ الدبَّ قدْ قالَ ما قالَ فى حقِّكَ مُوافَقَةً لرغْبَةِ الأَسَدِ ، حتى لا يظُنَّ أَنهُ قدْ غشَّهُ ، ولمْ يُخْلِصْ له النصيحَةَ باعْتِبارِهِ وَزيرَهُ ومُشِيرَهُ ومُعِينَهُ ..

وبعْدَ أَنْ تبيَّنَ له أَنَّ ما حدثَ منْك لمْ يكنْ إلاَّ هفْوَةً ، تكلمَ بالنصْحِ والْمودَّةِ فى حقِّكَ .. إنه لمْ يقْصِدْ أَنْ يُوقِعَ بكَ الضَّرَ وَالأَذَى ، كما تصَوَّرْنا .. وقدْ أَبدَى نَدَمهُ على ذلك ..

فقالَ (الْعزيز) :

- قدْ عفَوْتُ عنْه ، وأَرْجو أَن يُصلحَ اللَّهُ حالَهُ ..

وتوَّجهَ (الْعادِلُ) والأَرنبُ بعدْ ذلكَ إلى الدبِّ ، فأَخذَاه



واتَّجهَا إلى مَنْزِل الأسَدِ ، فتعَجَّبَ الأَسدُ منْ رؤْيَةِ الدبِّ فى صُحْبَةِ (الْعادِلِ) فأَخْبَرهُ الدبُّ أَنهُ قدْ ندِمَ على كلِّ ما بَدرَ مِنْه وتكَلَّمَ به فى حَقِّ (الْعَزِيز) وأَنهُ جاءَ يطْلُبُ الشَّفاعَةَ عنْه ، ويذكِّرُهُ بوَعْدِه فى الْعَفْوِ عنْه ..

فسُرَّ الأسَدُ سرورًا عظيمًا ، وقال :

ـ طالمَا زالَتِ الْعداوَةُ والْبَغْضاءُ بينكُمْ ، فأَنا أُصْدِرُ أَمْرى بالْعَفْوِ عنْهُ ..



فأسْرعَ الْحراسُ بإحْضار (الْعزيزِ) مُكَبَّلاً فى الأَغْلالِ ، فوقَفَ أمامَ الأَسَدِ مُعْتَذِرًا فى خجلٍ ، وشَاكِرًا إياهُ لعَفْوِهِ عمَّا بدرَ منْهُ منْ هَفْوةٍ غيرِ مقْصُودَةٍ ..

فقالَ الأسدُ :

ـ على الْعاقِلِ ألاَّ يضَعَ نفْسَهُ موْضعَ الاِعْتِذارِ ، فإيَّاكَ أَنْ تضَع نفْسَكَ فى مَوْضعِ الاِعْتِذارِ مرَّةً أُخْرى ..

وعليْكَ أَلا تتفَوَّهَ بكلِمَةٍ ، حتَّى تَزِنَهَا بميزانِ الْفِكْرِ ، وتَقيسَهَا بمِقْياسِ العَقْلِ ..

فقالَ (الْعزيزُ) :

ـ صدَقْتَ أَيها الأَسدُ الْمُهَابُ ..

وهكذَا نجَا (الْعزيزُ) بفَضْلِ صديقِهِ (الْعادلِ) وسعْيِه إلىَ إخْراجِهِ ممَّا أَوْقعَ فيه نفْسَهُ منْ محْنَةٍ ، بسببِ هَفْوَةٍ .

(تمت)

رقم الإيداع : ١٦١٣٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٧٠٣ ـ X

المطبعة العربية الحديثة

٨,١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية العباسية

القاهرة : ☎ ٢٥٨٦١٩٧ ـ ٦٨٣٥٥٥٤